٥ - الفـــارابى

فى العالم الاسلامى وفي أوربا

بمناسبة مرور ألف عام على وفاته

للأستاذ ضياء الدخيلى

ويحدثنا ابن خلكان عن أسلوب الفارابى فى التأليف فيقول(١) «وكان أكثر تصنيفه فى الرقاع ولم يصنف فى الكراريس إلا القليل؛ فلذلك جاءت أكثر تصانيفه فصولا وتعاليق، ويوجد بعضها ناقصا منثورا» ولعل هذا الذى ذكره ابن خلكان هو علة ما وجده صاحب (التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) من غموض واضطراب فى بعض الأحايين

وهذا أندلسى من القرن السادس الهجرى يثنى على الفارابى ويفضله على ابن سينا والغزالى ، فقد جاء فى عيون الأنباء فى ترجمة ابن باجة أن أبا الحسن عليا بن عبد العزيز بن الإمام من غرناطة وكان كاتبا فاضلا متميزا فى العلوم وصحب ابن باجة مدة واشتغل عليه — إن أبا الحسن هذا قال فى صدر المجموع الذى نقله من أقوال ابن باجة الفيلسوف الأندلسى — فى العلوم الفلسفية — قال ويشبه أنه لم يكن بعد أبى نصر الفارابى مثله فى الفنون التى تكلم عليها من تلك العلوم ، فإنه إذا قرنت أقاويله بأقاويل ابن سينا والغزالى وهما اللذان فتح عليهما بعد أبى نصر بالمشرق فى فهم تلك العلوم ودونا فيها — بان لك الرجحان فى أقاويله وفى حسن فهمه لأقاويل أرسطو؛ والثلاثة أئمة بلا ريب

وكان ابن باجة السرقسطي من رجال القرن السادس الهجرى وقد توفى شابا بمدينة فاس ودفن بها ، وكان من جملة تلاميذه ابن رشد . وذكروا فى مؤلفات محمد بن باجة تعاليق على كتاب أبى نصر فى الصناعة الذهنية (أى علم المنطق)

فها أنت ترى كيف أن شهرة الفارابى كانت قد طبقت العالم الإسلامى وعبرت البحر إلى الأندلس . وقد ذكر ابن أبى أصيبعة فى عيون الأنباء فى جملة مؤلفات أبى الوليد بن رشد كتابا فيما خالف فيه أبو نصر الفارابى أرسطوطاليس فى كتاب البرهان من ترتيبه وقوانين البراهين والحدود

ومن مصر الطبيب ابن رضوان عام ٤٥٩ هـ وكان فى عهد الحاكم — تحدث عن كتب العارفين التى يشهد بفضلها ويعتز بها ، فذكر كتب أفلاطون وأرسطوطاليس والإسكندر وثامطيوس ومحمد الفارابى، قال وما انتفع موجود به فيها وما سوى ذلك إما أبيعه بأى ثمن اتفق ، وإما أن أخزنه فى صناديق، وبيعه أجود من خزنه (٢)

وهذا الشيخ موفق الدين عدنان بن العين زربى كان من أهل عين زربة وأقام ببغداد مدة ، واشتغل بصناعة الطب والعلوم الحكمية ومهر فيها وخصوصا فى علم النجوم، ثم بعد ذلك انتقل من بغداد إلى الديار المصرية وتميز فى دولتهم ، وكان من أجل المشايخ وأكثرهم علما فى صناعة الطب فيما يقوله ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء — ولقد ذكر له الرسالة المقنعة فى المنطق وبين أنه ألفها من كلام أبى نصر الفارابى والرئيس ابن سينا ، وقد توفى ابن العين زربى سنة ٥٤٨ هـ بالقاهرة ، فهو من القرن السادس الهجرى (٣)

ولنقفز الآن قفزة عريضة إلى أوربا فنسمع دى بوير De Boer فى جامعة أمستردام فى هولنده يقول فى كتابه (تاريخ الفلسفة فى الإسلام) كان الفارابى رجلا ممن يخلدون إلى السكينة والهدوء وقد وقف حياته على التأمل الفلسفى يغالى الملوك بسلطانهم ، ولد فى (وسيج) وهى قرية صغيرة حصينة تقع فى ولاية فاراب من بلاد الترك فيما وراء النهر ، وقد حصل على علومه فى بغداد وقرأ بعضها على معلم مسيحى وهو يوحنا بن جيلان الذى توفى بمدينة السلام فى أيام المقتدر ، وقد ألم الفارابى فى دراسته بالأدب والرياضيات ، ويدلنا بعض مؤلفاته ولا سيما فى الموسيقى على أنه درس الرياضيات ، وتقول الأساطير إنه كان يتكلم بلغات العالم كلها (سبعين لغة) وقالوا أنه من براعته فى الموسيقى أضحك الجالسين ثم أبكاهم ثم أنامهم وانصرف . ويرى (دى بوير) أن

(١) تاريخ ابن خلكان

(٢) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة

الفلسفة التي تدرب عليها الفارابي يرجع أصلها إلى مدرسة مرو ، والظاهر أن أعضاء هذه المدرسة كانوا يعنون بمسائل الإلاهيات أكثر مما عنى بها أهل حران والبصرة ، فقد كان ميل هؤلاء متجها إلى الفلسفة الطبيعية (٤)

وكل حديثنا السابق أو جله كان يدور حول فلسفة الفارابي، ولكن كم لهذا الرجل الفاضل من مزايا أخرى يجدر بنا الوقوف عندها، فنهاعبقريته فى الموسيقى التى أشار إليها (دى بوير) وقد قال ابن أبي أصيبعة فى عيون الأنباء إن الفارابي كان فى علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها وأتقنها إتقانا لا مزيد عليه، ويذكر أنه صنع آلة غريبة يسمع منها ألحانا بديعة يحرك بها الانفعالات . وقال (كارادفو B.Carra De vaux) فى دائرة المعارف الإسلامية: وكان الفارابي موسيقارا معروفا ونحن مدينون لقلمه فى تدبيجه رسالة ذات أهمية بالغة فى الناحية النظرية من الموسيقى الشرقية ، وكان هو بنفسه موسيقارا فنانا هاويا وفنانا مؤلفا ، وأن نبوغه أثار إعجاب سيف الدولة الحمدانى ، وأن الدراويش المولوية لا يزالون يرتلون الأغانى القديمة المنسوبة إلى الفارابى (راجع مادة Farabi — Al من دائرة المعارف الإسلامية) ويقول زكى على تحت عنوان (أوربا مدينة للحضارة الإسلامية) من رسالة نشرتها دار المكشوف فى بيروت باسم (أوربا والإسلام) — وساهم المطربون والموسيقيون العرب فى تقدم الفن الغنائى وتحسين آلة الطرب . ويعود الفضل إلى الفارابى (من القرن العاشر الميلادى) فى القضاء على النظريات الموسيقية القديمة ، وفى تفسير الإيقاع وكيفية حصول الأنغام . وقد اخترع الموسيقيون العرب الموسيقى الموقعة . ومنهم أخذت شبه الجزيرة الأيبرية وبالتالى أوربا كلها آلات الطرب ؛ ومنها العود والرباب والقيثارة والطبل . ويظهر أن بعض فلاسفة العرب كان على اطلاع واسع وغريبا على الموسيقى وأثرها فى الإنسان . وقد كانوا يستخدمونها فى الطب وننقل عنهم فى هذا الباب قصص نقف

(٤) تاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بوير

(٥) دائرة المعارف الاسلامية فى مادة الفارابى

(٦) أوربا والاسلام فى سلسلة الثقافة السياسية من منشورات دار المكشوف ببيروت ص ٣١

بين يديها حائرين ، فقد نقل القفطى فى أخبار الحكماء فى ترجمة يعقوب بن إسحق الكندى الفيلسوف العربى الشهير أنه استدعاه جاره للنظر فى ابنه الذى اعترته سكتة فجأة فأجاب وصار إلى منزل التاجر ، فلما رأى ابنه وأخذ مجسه أمر بأن يحضر إليه من تلامذته فى علم الموسيقى من قد أتم الحذق بضرب العود ، وعرف الطرائق المحزنة والمزعجة والمقوية للقلوب والنفوس ، فحضر إليه منهم أربعة فأمرهم أن يديموا الضرب عند رأسه وأن يأخذوا فى طريقة أوقفهم عليها ، وأراهم مواقع النغم بها من أصابعهم على الدساتين ونقلها ، فلم يزالوا يضربون فى تلك الطريقة والكندى آخذ مجس (نبض) الغلام ، وهو فى خلال ذلك يمتد نفسه ويقوى نبضه ، ويراجع إليه نفسه شيئا بعد شئ إلى أن تحرك ثم جلس وتكلم ، وأولئك يضربون فى تلك الطريقة دائما لايفترون ، فقال الكندى لأبى الولد: سل ابنك عن علم ما تحتاج إلى علمه، فجعل الرجل يسأل وهو يخبره ، ويكتب شيئا بعد شئ فلما أتى على جميع ما يحتاج إليه غفل الضاربون عن تلك الطريقة التى كانوا يضربونها وفتروا ، فعاد الصبى إلى الحالة الأولى وغشيه السكوت فسأله أبوه أن يأمرهم بمعاودة ما كانوا يضربون به، فقال هيهات، إنما كانت صبابة قد بقيت من حياته ، ولا سبيل لى ولا لأحد من البشر إلى الزيادة فى مدة من قد انقطعت مدته ، وقد كان ذلك التاجر من كبار التجار موسعا عليه فى تجارته وكان ابنه هذا قد كفاه أمر بيعه وشرائه ، وضبط دخله وخرجه، فعرضت لابنه السكتة فجأة فورد عليه من ذلك ما أدهله وتى لايدرى ما الذى فى أيدى الناس وما لهم عليه ، مع ما داخله من الجزع على ابنه فلم يدع بمدينة السلام طبيبا إلا ركب إليه واستركبه لينظر ابنه ويشير عليه من أمره بعلاج ، فلم يجبه كثير من الأطباء — لكبر العلة وخطرها — إلى الحضور معه، ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غناء، فقيل له أنت فى جوار فيلسوف زمانه ، وأعلم الناس بعلاج هذه العلة فلو قصدته لوجدت عنده ماتحب ، فدعته الضرورة إلى أن تحمل على الكندى بأحد إخوانه ، فأجاب وصار إلى منزل التاجر بالرغم من أنه كان كثير الازدراء بالكندى والطعن عليه ، مدمنا

الأدب والأدباء في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

براعم الفصحى :

ذهبت إلى مدرسة محمود فهمي النقراشي باشا النموذجية الابتدائية بحدائق القبة ، وبي شوق إلى رؤية تلاميذها وسماعهم يتحدثون باللغة العربية الفصحى ؛ وكان هذا هو الداعي إلى زيارتي للمدرسة ، وكانني بثت أن أسمع العربية في التخاطب بين الكبار وفيهم من تلقى من خواص المتعلمين والمثقفين ، فشاقني أن أجد طلبتي لدى أولئك الصغار الفصحاء ...

كنت على موعد مع ناظر المدرسة الأستاذ عبد الفتاح النياوي الذي تفضل فرحب بهذه الزيارة ، وأخذت مكاني في حجرة الناظر ، وكان هناك الأستاذ عبد الحميد السيد المفتش العام للغة العربية بالمدارس الابتدائية ، وبعد قليل دخل الحجرة تلميذ صغير لا يبلغ العاشرة من عمره — دخل هذا التلميذ يقول :

أين حضرة المفتش ؟

فلما بشر عربي جميل ، فشغلت بتأمله في إعجاب ، وكأنني ألقف أول ثمرة من هذه الدوحة ، وهش له المفتش وأجابه :

— أنا ...

— كلفني الأستاذ ... أن أحضر لك هذه الكراسات

ودلفت في محبة الأستاذ أحمد عبيد إلى إحدى حجرات الدراسة ، وكان التلاميذ في نشاط ، فقال الأستاذ رافعاً صوته في لهجة المعلم الحازم الحاني :

ما هذا ؟ إني أسمع لغطا يا شريف

قال شريف — وهو « بوليس الفصل » — إن هذا التلميذ يزعق .. فنهض تلميذ آخر ليضبط الشرطي متلبساً بالخطأ ... قال : إنه أخطأ إذ قال : « يزعق » ويجب أن يقول « يصيح »

والمدرسون يجتهدون في تعريب ما يرد على ألسنة التلاميذ من الكلمات العامية ، أو بعبارة أخرى يردونها إلى أصلها العربي فيسيرون على النهج التربوي في الانتقال من المعلوم إلى المجهول ، فهذا التلميذ يعمل « غلبة » وينقاش قليل نقاب النين جيما فتصير « جلبة » وذاك التلميذ يصر على دعواه قائلا : هذا القلم « بتاعي » ولا بأس أن يكون القلم متاعه ...

ومهد الأستاذ لأن يتحدث التلاميذ ، فوصف أحدهم الاحتفال بـ « سبوع » أخيه المولود ، فكان مما قاله : وأمسك أحد المدعوين بالهاون وجعل يدقه ويخاطب الطفل : سمع كلام أبيك ... اسمع كلام أمك ... قال التلميذ : فضحكت لأن هذا كلام ليس له معنى !

وحدثنا آخر عن قضية مراكش حديث الفاهم الواعي ، ولحظات حماسة في الكلام فقلت له : وماذا يمنعك من الاعتداء على مراكش ؟ أجاب : لأنها بلاد عربية إسلامية مثل بلادنا يؤلمنا ما يؤلمها ...

وتحدث تلميذ عن المجتمع المصري وسوء حاله ، فحميت أفكار التلاميذ واشتدت المناقشة بينهم ... سأل أحدهم : أليس الشعب يحكم نفسه ؟ قال المتحدث : بلى ، ولكن البرلمان يتكون من الأغنياء الذين يشترون أصوات الناخبين ... وسأل آخر : مادام الأمر بيد الأغنياء الذين لا تهمهم مصالح الناخبين فما العمل ؟

لتكبيره والإغراء به [٧] وقد أسعف الكندي طالبه وقام بما تقدم ذكره استجابة لداعي الإنسانية ، وما تحتمه آداب مهنة الطب المقدسة. وننقل عن الفارابي قصص مماثلة في الموسيقى معروفة

وبعد فقد أطلنا الحديث عن أبي الفلسفة الإسلامية ومؤسسها ومشيد مدرستها الأول (المعلم الثاني) وأرى أن نقطع الحديث مؤقتا ، وإن يقيت لدى صبابة في الكأس وثمالة نرجئ عرضها إلى عودة ثانية للموضوع فإلى الملتقى

بغداد — تم البحث — ضياء الرفيعي

---

(٧) أخبار الحكماء للقفطي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ في ترجمة الكندي ص ٣٤٦ وقد ذكر له من كتبه في الموسيقى رسالته الكبرى في التأليف ، كتاب ترتيب النغم ، كتاب المدخل إلى الموسيقى ، رسالته في الإيقاع ، رسالته في الأخبار عن صناعة الموسيقى ، كتاب في خبر صناعة الشعراء ، وقد عد القفطي كل هذه الكتب في كتبه للموسيقيات ، ولعله درس الشعر في الكتاب الأخير من الناحية الموسيقية

٣٩ . ٣٦